196054 ـ هل يشهد القرآن يوم القيامة على مخالفيه بمخالفته ، كما يشهد لأصحابه ويشفع لهم ؟

السؤال

هناك أحاديث عدة تقول بأن القرآن سيشفع لقارئه ، فهل هناك أحاديث تذكر أن القرآن سيكون شاهدا على بعض الناس ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

ثبت في السنة الصحيحة أن القرآن يشفع يوم القيامة لأصحابه ؛ فروى مسلم (804) عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ) .

وروى الإمام أحمد (6589) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ . وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ) . صححه الألباني في "صحيح الجامع" (7329) .

راجع جواب السؤال رقم : (14035) .

ثانيا :

كما أن القرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة ، فهو أيضا يشهد على مخالفيه بهجره وتضييع فرائضه وتعدي حدوده .

فروى مسلم (223) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (... وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ) .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" فإما أن يكون لك ، وذلك فيما إذا توصلت به إلى الله ، وقمت بواجب هذا القرآن العظيم : من التصديق بالأخبار ، وامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وتعظيم هذا القرآن الكريم واحترامه ، ففي هذه الحال يكون حجة لك .

أما إن كان الأمر بالعكس : أهنت القرآن ، وهجرته لفظاً ومعنى وعملاً ، ولم تقم بواجبه ؛ فإنه يكن عليك شاهداً يوم القيامة " .

انتهى من "شرح رياض الصالحين" (ص30) .

وروى ابن حبان في صحيحه (124) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الْقُرْآن شَافِع مُشَفع وَمَاحِل مُصَدَّقٌ مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ) .

صححه الألباني في "الصحيحة" (2019) ، وأعله الدارقطني في " العلل "(5/102) بالوقف على ابن مسعود .

قال ابن حبان عقب هذا الحديث :

" هذا خبر يوهم لفظه من جهل صناعة العلم أن القرآن مجعول مربوب وليس كذلك ؛ فإن العرب في لغتها تطلق اسم الشيء على سببه كما تطلق اسم السبب على الشيء ، فلما كان العمل بالقرآن قاد صاحبه إلى الجنة أطلق اسم ذلك الشيء الذي هو العمل بالقرآن على سببه الذي هو القرآن ، لا أن القرآن يكون مخلوقا " .

وقوله : (ماحل مصدق) أي : خَصْمٌ مجادل مصدَّق .

"النهاية" (4 /636)

وقال المناوي رحمه الله :

" قال في الزاهر : معناه من شهد عليه القرآن بالتقصير والتضييع فهو في النار . ويقال : لا تجعل القرآن ماحلا ، أي شاهدا عليه " .

انتهى من "فيض القدير" (4 /699) .

وروى ابن أبي شيبة في "المصنف" (30667) ، وابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" (ص258) ، وابن الضريس في " فضائل القرآن" (89) من طريق مُحَمَّد بْن إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ ، سَمِعْت رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقول : (يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلاً فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ في أَمْرِهِ فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ حَمَّلْته إيَّايَ فَشَرُّ حَامِلٍ تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيَّعَ فَرَائِضِي ، وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي وَتَرَكَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : فَشَأْنُك بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ ، فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يَكُبَّهُ عَلَى صَخْرَةٍ فِي النَّارِ ، وَيُؤْتَى بِرَجُلٍ صَالِحٍ قَدْ كَانَ حَمَلَهُ وَحَفِظَ أَمْرَهُ فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا دُونَهُ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ حَمَّلْته إيَّايَ فَخَيْرُ حَامِلٍ ، حَفِظَ حُدُودِي وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي وَاتَّبَعَ طَاعَتِي ، فَمَا يَزَالُ يَقْذِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : شَأْنُك بِهِ ، فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُرْسِلُهُ حَتَّى يُلْبِسَهُ حُلَّةَ الإِسْتَبْرَقِ وَيَعْقِدَ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ) .

وهذا إسناد ضعيف ؛ لأن ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه ، لكن قال البخاري رحمه الله في كتاب "خلق أفعال العباد" (474) :

" وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيشفع لصاحبه) . حدثنيه زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن ابن إسحاق وحدثني عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهذا . قال أبو عبد الله ـ يعني البخاري ـ : " وهو اكتسابه وفعله " انتهى .

فثبت سماع ابن إسحاق للحديث من عمرو بن شعيب ، فثبت الحديث بذلك .

وقوله (يُمَثَّلُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلاً فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ حَمَلَهُ فَخَالَفَ في أَمْرِهِ فَيَتَمَثَّلُ خَصْمًا لَهُ) المقصود : تمثل له تلاوته للقرآن .

راجع جواب السؤال رقم : (91306) .

وروى ابن أبي شيبة (30676) ، والدارمي (3325) عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : (يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَشْفَعُ لِصَاحِبِهِ فَيَكُونُ قَائِدًا إِلَى الْجَنَّةِ ، أو يَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيَكُونُ سَائِقًا لَهُ إِلَى النَّارِ) والشعبي لم يسمع من ابن مسعود ، كما في " المراسيل " لابن أبي حاتم (ص 25) .

ولكن له شاهد بلفظ : (إن هذا القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار) .

وقد ورد ذلك من عدة طرق عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا ، فانظر : "فضائل القرآن" (20) للفريابي ، "فضائل القرآن" لأبي عبيد (44) ، "فضائل القرآن" (94) لابن الضريس ، "الزهد" للإمام أحمد (ص155) ، "شعب الإيمان" للبيهقي (2010) ، "المعجم الكبير" للطبراني (8655) .

فتبين بما تقدم أن القرآن كما يشهد لأصحابه يوم القيامة ، يشهد على مخالفيه .

والله تعالى أعلم .